الحاسوب في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الفصل المقلوب

د/ ناعوس بن يحيى

أستاذ اللسانيات، جامعة أحمد زبانة غليزان، الجزائر

ملخص البحث

تعليم اللغات أضحى، وقد تغيرت وسائل الاتصال والتواصل وتيسرت، ضرورة ملحة بما أن العالم أصبح كالبيت الواحد لتقارب المسافات بين الناس، ومن هنا وجب تعلم اللغات وتعليمها لتيسير التواصل بين الناس، وليست اللغة العربية بدعا عن ذلك فجاء هذا البحث ليبِّين كيف يتم تعليم العربية لغير الناطقين بها في الفصل المقلوب لتنمية مهارات الفهم والتعبير الشفهي والكتابي من خلال اكتساب قواعد العربية؟ إنه شكل من أشكال التعليم المدمج الذي يوظف التقنية الحديثة معتمدا على الذكاء الفطري والاصطناعي لتقديم تعليم يتناسب مع حاجات الطلاب، وميدان تعليم العربية وخاصة لغير الناطقين بها في حاجة ماسة لتطبيق مثل تلك الأساليب الحديثة، للارتقاء بتعليمها وتعلمها إلى المستوى اللائق بها.

مقدمة: الحاسوب و شبكاته

التعليم الإلكتروني يختلف عن التعليم التقليدي في كونه يحتاج إلى جملة من الأدوات المرافقة للطالب في عملية التعلم والتعليم، وهذه الأدوات تفرضها نوعية وطريقة التعليم في هذا المجال الجديد، ويُعتبر الحاسوب أهم عنصر من عناصر التعليم الإلكتروني، ونجد أنه يُستخدم في العملية التعليمة والتعلمية بثلاثة أشكال وهي: التعلم المبني على الحاسوب والتي تتمثل بالتفاعل بين الحاسوب والمتعلم فقط، التعلم بمساعدة الحاسوب يكون فيه الحاسوب مصدراً للمعرفة ووسيلة للتعلم مثل استرجاع المعلومات أو مراجعة الأسئلة والأجوبة، والتعلم بإدارة الحاسوب حيث يعمل الحاسوب على توجيه وإرشاد المتعلم([1]). ويحتاج التعليم الالكتروني إلى شغل جميع حواس الإنسان (سمع -بصر-نطق)، ومن أجل ذلك يستعين بالتكنولوجيا الحديثة وخاصة في الجانب المرئي، وحاولت أن أحصرها في هذا المخطط البياني:

[1]- قنديل ، أحمد ، التدريس بالتكنولوجيا الحديثة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٦ ، ط١ ، ص٩٤.

وزيادة على ما سبق فإن الدورة الديدكيكية تحتاج إلى "الاستعانة بوسيطين أو أكثر في عرض وتقديم الخبرات التعليمية للتلاميذ عبر برامج يتحكم بتشغيلها الكمبيوتر. وتشمل الوسائط النص المكتوب والرسوم والصور الثابتة والمتحركة والصوت والموسيقى بمؤثرات لونية مثيرة"([1]). وحتى تكون المادة التعليمية جاهزة لأداء مهمتها التربوية في شكل كامل و متكامل، فإنه من الواجب التعليمي أن تكون جملة من الوسائط الإلكترونية متوفرة التي تيسر العملية التعليمية في الفصل المقلوب، وقد أجملتها في المخطط البياني الآتي:

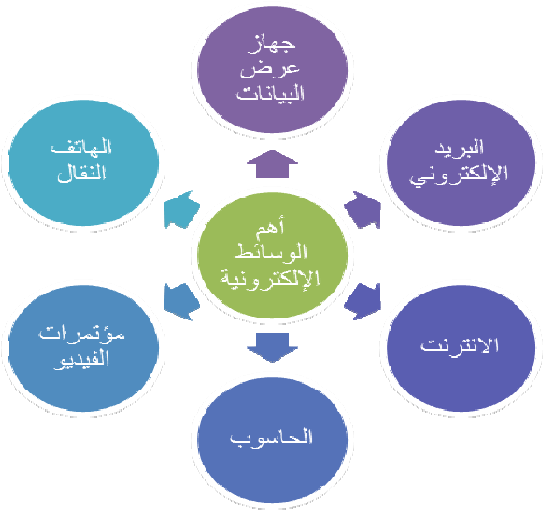

الوسائط الإلكترونية تيسِّر التواصل بين المتعلم والحاسوب ليستقبل المادة التعليمية، وهذا ما يعرف بالمثلث الديداكتكي في البيداغوجية التقليدية، ولكن هنا تتطلب العملية عناصر يوضحها هذا المخطط:

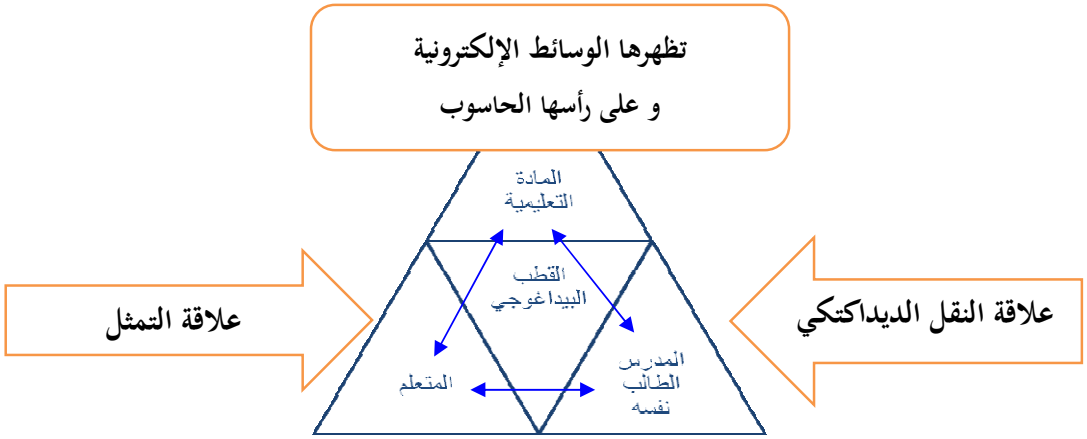

ولكن قد يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال مفاده: هل نستطيع الاستغناء عن المعلم في البيداغوجية المعكوسة؟

طبعا لن نستطيع الاستغناء عن المعلم بالكلية إذ لا بد من موجه لهذه العملية التعليمية وقائد لها، وقد حاولت أن أبين في هذا المخطط أفراد التعليم الإلكتروني الذين هم فاعلون وقائدون للعملية التعليمية في جميع مراحلها، ولا يتسطيع طالب العلم لاستغناء عن واحد منهم حتى تؤدي الديداكتيك وظيفتها على أكمل وجه وهم:

[1] – قنديل ، أحمد ، التدريس بالتكنولوجيا الحديثة، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٦ ، ط ، ص١٧٤.

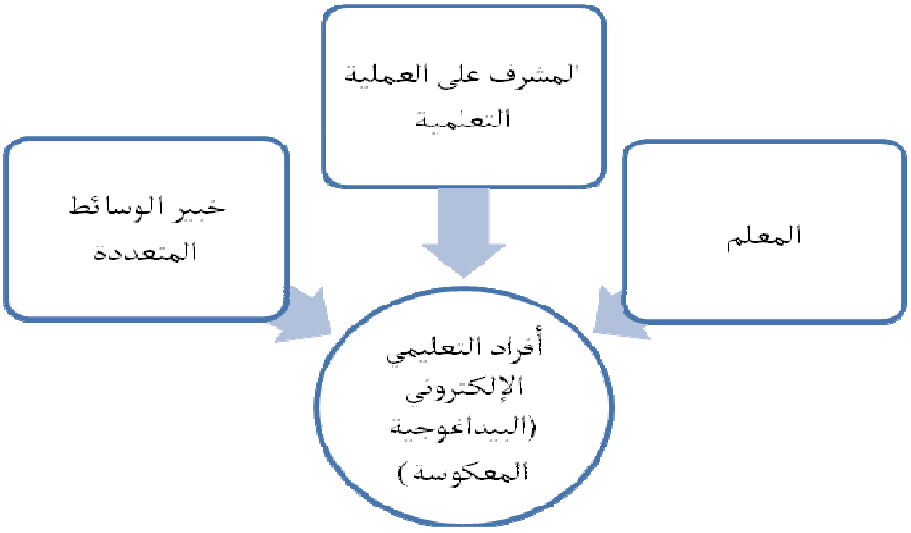

ويتضح مما سبق؛ على أن دور المعلم انحصر في ثلاثة أدوار وهي:

أولاً: يقوم المعلم بشرح المادة التعليمية وبسطها باستخدام الوسائط الإلكترونية المتاحة، وعلى الطلاب اعتماد نفس الوسائط في فهم المادة و التفاعل معها.

ثانياً: يقوم، أيضا، بدور المشجع على التعلم عن طريق اعتماد فن طرح الأسئلة، وربط الطلبة، في مختلف الدول، فيما بينهم الكترونيا.

ثالثاً: دور المحفز على توليد المعرفة والإبداع فهو يحث الطلاب على استخدام الوسائل التقنية وابتكار البرامج التعليمية التي يحتاجونها، ويتيح لهم التحكم بالمادة الدراسية بطرح آراءهم ووجهات نظرهم([1]).

فقد ذكر خبراء الديدكتيك([2]) على أن العملية التعليمية تتكون من العناصر الموضحة في المخطط التالي:

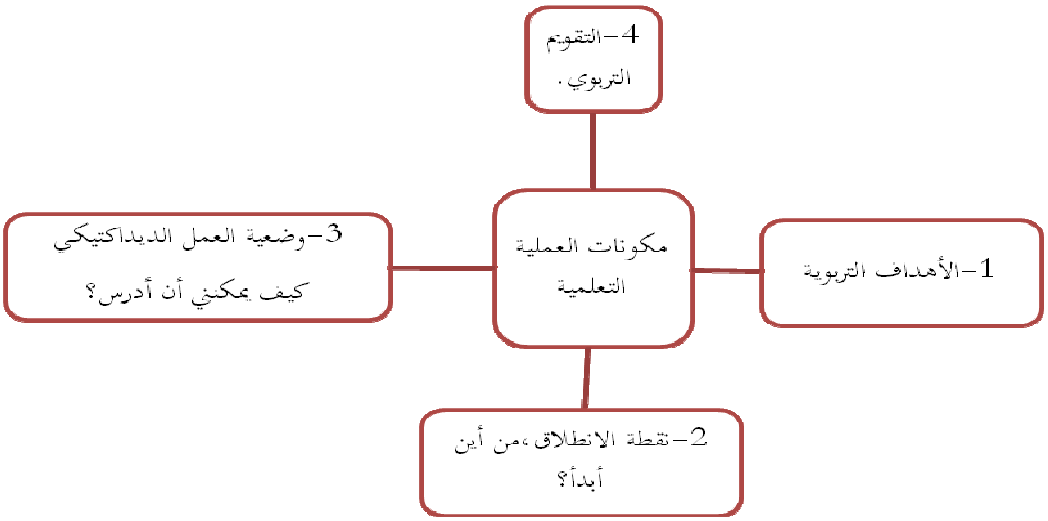

[1]- ينظر: قنديل،أحمد، التدريس بالتكنولوجيا الحديثة، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٦، ط ، ص١٧٤.

[2]- ينظر: محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية (مدخل الي علم التدريس)، ط٢، ١٩٩١م مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، المغرب. ص٠٤.

فمن خلال هذا المخطط نلاحظ أن هذه المكونات تشير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى ضرورة وجود المعلم حتى تُؤتي العملية التعلمية أُكلها.

تعليم اللغات والحاسوب:

لا يخفى على إنسان في هذا العالم على أن الحاسوب فرضه نفسه في حياة الناس قاطبة، وذلك لتعلق حاجيات الناس به في شتى المجالات الحياتية ترفيهية كانت أو غيرها، ومن هنا ارتبط تعليم اللغات بالحاسوب، وذلك عائد لظهور عدة تطبيقات تيسر تعليم اللغات، وخاصة بما يعرف بالترجمة الفورية، وذلك أن الناس يتواصل بعضهم ببعض في كل القارات فلم يبق ثمة حدود. ويمكن أن نذكر بعض خصائص وميزات الحاسوب التي تؤهله ليسِّير تعليم اللغات منها ميزة ما يسمى بالتغذية الراجعة (feedback)، والميزة الثانيةما يعرف بفردية التعليم، ويتم ذلك من خلال ما يسمى بالتعليم المبرمج الخطي (Linear Programmed Instruction)حيث يكون البرنامج بسيطًا، ولكن يستطيع أن يسير الدارس وفقًا لسرعته. وهناك أسلوب أكثر تطورًا، حيث يتيح الحاسوب أن نعد برامج فردية الصبغة، وذلك مايسمى بالتعليم المبرمج المتفرع (Branched Programmed Instruction). فوفقاً لهذا النوع من البرمجة يمكننا من خلال الحاسوب، الذي هو وسيلة مساعدة في العملية التعلمية، أن نقدم عشرات الدروس في نفس المادة الهدف، المراد تعليمها، تبعا لقدرات الطالب أوبطريقة أدق لاستجابة الطالب، فمثلًا إن أجاب الطالب الإجابة (أ) يأخذه الحاسوب بصفة تلقائية إلى فقرة تختلف عن الطالب الذي تكون إجابته (ب) أو (ج) وهكذا دواليك فهو يسمح بأن نصمم برنامجا مرنًا فعالا لطلاب من مستويات مختلفة ومن خلفيات مختلفة؛ بذلك يختلف خط سير كل طالب في البرنامج التعليمي نفسه وفقالاستجاباته وقدراته أو أدائه([1]).

أساسيات البيداغوجية المعكوسة أو الفصل المقلوب (la classe inversée ou renversée)

إن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بمساعدة الحاسوب تكسو أهمية في نظام التعليم عن بعد، بصفة عامة، فهي وسيلة مرتبطة بالتقدم في اكتساب اللغة العربية، وهي أيضا زيادة كفاءة استخدام المواد الأساسية في اكتساب اللغة، وكنهج تنظيمي في الممارسة الجديدة للتعليم، إذ يصبح الطالب أستاذا والأستاذ طالبا أو ما يسمى بالبيداغوجية المعكوسة أو الفصل المقلوب: هي عبارة عن مقاربة بيداغوجية تقوم بقلب العملية التعليمة، وهذا يؤدي إلى تغيير الأدوار التقليدية والمعهودة في التعلم؛ كما يوضحها المخطط التالي:

أصبح هذا النظام الجديد في التعليم الذي فرضته تطورات الحاصلة في العالم الرقمي الغالب على حيوات الناس، ضرورة إنسانية ملحة تهدف إلى الاهتمام بالمتعلم، وجعله محور العملية التعليمية بصفة عامة، وعليه تعتبر هذه طريقة جديدة للبيداغوجية المواكبة للتغيرات الحاصلة في اكتساب المعرفة. وهذه البيداغوجية المعكوسة تحتاج إلى جملة من الأساسيات لتنفيذها يوضحها المخطط البياني أدناه:

[1] – ينظر : الحاسوب في تعليم اللغات،أ.د./ محمود إسماعيل صالح ،أستاذ اللسانيات التطبيقية– جامعة الملك سعود (الرياض).

شروط نجاح التعليم بمساعدة الحاسوب:

تجدر الإشارة هنا إلى أن المعلِّم، كما أسلفنا، صار مساعدا في اكتساب المعرفة، إذ التلميذ هو الذي يقوم بكل أدوار العملية التعليمية والتعلمية، فهو الركن الركين فيها؛ بل يستطيع أن يقيِّم نفسه بنفسه، وذلك أن الحاسوب، وهو القائد لعملية التعليمية، لن يمكنه من تجاوز مرحلة دون أن يكون قد نجح في المرحلة السابقة. ويمكن أن نجري مقارنة بين العملية التعلمية التقليدية والعملية التعلمية في الصف المقلوب ليتضح لنا الفرق بينهما من خلال هذا المخطط التوضيحي:

التعليم العادي	التعليم المقلوب /المعكوس
• دروس داخل الصف +التفاعل مع المعلم • أنشطة وتطبيقات في البيت	• دروس في البيت+ التفاعل مع البرناج أو التطبيقات الذكية بتوجيه المعلم عن بعد • أنشطة و تطبيقات في الصف

ونلاحظ من خلال هذا المخطط أن دور المعلّم تحول بذلك في الصف المقلوب من ملقن إلى موجه ومساعد ومحفز للطلاب يشرف على سير الأنشطة ويقدم الدعم لمن يحتاج إليه. ومن الشروط كذلك أن تعليمية اللغة العربة لغير الناطقين بها لا تختصّ "بتدريس القواعد، بل تتجاوزه إلى تعلّم اللّغة بأنشطتها المختلفة؛ يتمّ بواسطتها تدريس القواعد من خلال النصوص الأدبية شعرا ونثرا، إلى جانب تدريس القراءة و الإملاء والتعبير، ونصوص المطالعة..."([1])، بل يرقى بالمتعلم إلى مرحلة الإبداع والتذوق من خلال استغلال النصوص الأدبية بجميع مستوياتها وجعلها مادة تعليمية وتذوقية. ومن الشروط الأخرى هو أن تعليم اللغة

[1]- أنطوان صياح، تعلّمية اللغة العربية، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٣٠.

العربية لغير الناطقين بها في الفصل المقلوب يقوم على فكرة الرّبط بين المواد الدراسية المختلفة، والتّعامل معها من منطلق وحدة المعرفة، وهذا المدخل يوجب على واضعي المنهج إعادة تنظيمه بطريقة تزول فيها الحواجز بين المواد الدّراسية المختلفة، وتتكامل فيها المواد مع بعضها، فتقدم الخبرات المختلفة في صورة متآزرة تؤدي إلى تمكين المتعلّم من إدراك العلاقات بين المواد التعليمية، والخبرات التي تقدّمها للمتعلّم. فهذه النظرة التكاملية تجعل المتعلم يدرك اللحمة المكونة للغة على أنها كلٌّ متكامل. ولا يخفى على كل مهتم بهذا المجال أن "قواعد اللغة وضوابط الرّسم وقوانين البلاغة ليست مهارات مستقلة يسعى المتعلّم إلى إتقانها لذاتها، وإنما لتصحَّ مهاراتُه اللغوية الأساسية، التي هي الاستماع، والقراءة، والكلام، والكتابة"([1]). ومهارة التذوق والإبداع وهي غاية عليا في امتلاك الناصية اللغة.

طرق ووسائل التقييم:

قبل أن نلج إلى تبيان طرق ووسائل التقييم في الفصل المقلوب يجدر بنا أن نشير إلى مفهوم الخطاب التعليمي في البيداغوجية المعكوسة، فالخطاب التعليمي والخطاب بصفة هو "في عرف ج.دوبوا (Dubois j.) ومن وجهة نظر لسانية متعدد المفاهيم، إذ يمكن أن يكون: الكلام la parole، مرادف ملفوظ énoncé، ملفوظ أكبر من الجملة énoncé supérieur a la phrase "([2]). وعليه فإن "الكلام والخطاب والتكلّم والتخاطب والنّطق واحد في حقيقة اللّغة، وهو ما به يصير الحيّ متكلّما"([3])، بأي طريقة كانت. لأن متعلم اللغة العربية حتى يصل إلى اكتساب مهارات اللغة العربية عليه أن يخضع لامتحانات لتقييم، ويكون التقييم ههنا ذاتيا وآليا أي يقيم نفسه بنفسه. من البرامج التعليمية لمهارة الاستماع ما يعرف ب"نموذج الاستماع التكاملي(Integrative Listening Model) وهو عبارة عن عملية ديناميكية تفاعلية تتوخى دمج المواقف المعرفية و السلوكية لتحقيق الاستماع الفعال، يتضمن هذا النموذج أربع مراحل: التحضير للاستماع / تطبيق نموذج الاستماع التكاملي / تقييم فعالية الاستماع / تحديد أهداف جديدة "([4]).

نجملها في هذا المخطط البياني مع الإشارة على أنها تتعاضد لتخدم هدفا واحدا أساسيا:

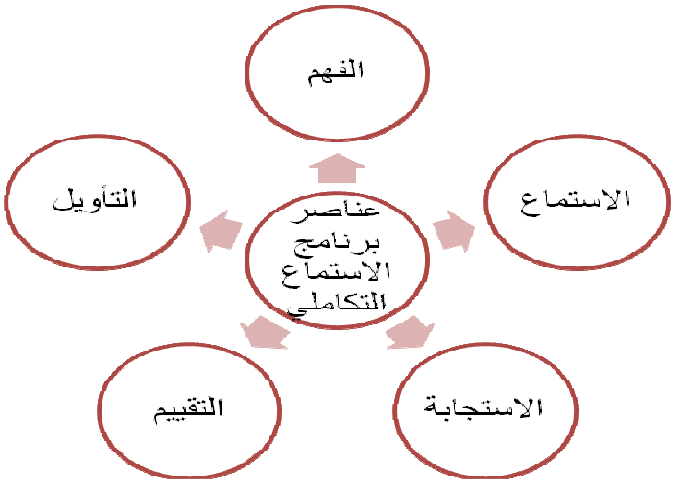

[1]- علي النعيمي، الشامل في تدريس اللغة العربية ط١، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م ،ص٢٧.

[2]- عبد القادر سلامي ،تحليل الخطاب أم قراءة متأنية،مجلة دراسات ترجمية ،مخبر تعليمية الترجمة و تعدد الألسن،جامعة وهران الجزائر،٢٠١٤،ص٧١.

[3]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٣٥.

[4]- محمد بونجمة،تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها مهارة الاستماع نموذجا، الطبعة الأولى ٢٠١٣، مطبعة آنفو ، فاس ،ص ٤٩.

من خلال القراءة المتأنية لعناصر الاستماع التكاملي نستنتج أنها تنمي قدرات الطالب الاستيعابية لجميع مراحل تعلم قواعد اللغة الهدف، وهذه المراحل مبنية تسلسليا من أدنى مستوى إلى أعلى، وهنا نستنتج أن الحاسوب يساعد على تقييم الطالب نفسه بنفسه تلقائيا.

ومن هنا يمكن أن نشير بأن الخطاب التعليمي يحوي جملة من الرسائل، كل رسالة تهدف "لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"([١]) أو تسليم بها أو الإذعان لها أو زيادة التأييد، فالخطاب "هو كلام و /أو نصوص و /أو علامات أخرى تُتداول في سياق محدد، [كسياق تعليمي مثلا] وتنتمي إلى مجال نشاط إنساني معين"([٢]). وبما أننا في نشاط تعليمي فهي خادمة لأهدافه ومراحله التعليمية.

ويجدر بنا في نهاية البحث أن نشير إلى قضية مهمة تشغل القائمين على دمج اللغة العربية في التعليم الإلكتروني وهي أن ثمة "صعوبة ترقية المحتوى الرقمي للغة العربية لانعدام بعض الأدوات الخاصة بها، والتي هي متوفرة للغات أوروبية عامة و للإنجليزية على وجه الخصوص، كتلك البرمجيات الخاصة بالتعرف الآلي على المنطوق، أي تحويل الكلام المدخل إلى الحاسوب إلى كتابة رقمية صحيحة قابلة للنشر وكذلك التعرّف الضوئي على الكتابة اليدوية، وهذه الأمور هي من بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي ومن نَوَاتِجه كذلك التصحيح الآلي للأخطاء الإملائية والنحوية، فهذا هم من هموم يجب أن تتجه إليه أبحاثنا"([٣]).

التوصيات:

١. ضرورة دعم تدريس اللغة العربية في الدول غير الناطقة بها من خلال شبكة معلوماتية تدعم الدول المهتمة بتدريس اللغة العربية خاصة في مجال المناهج والكتب والنشرات الأكاديمية والمؤتمرات وغيرها.

٢. ضرورة إنشاء مجلس أعلى لتطوير تدريس اللغة العربية وتثمين مختلف المجهودات الرسمية وغير الرسمية من خلال الدعم المالي والمرافقة العلمية([٤])

٣. دعم مشروع الذخيرة العربية

٤. دعم مشروع المعجمي للغة العربية

٥. إيجاد برامج تعليمية تمكن المتعلم من الاعتماد على نفسه في عملية التعلم

٦. جعل أنشطة تدريس اللغة العربية مواكبة للعصر

---

[١]- طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ط ١،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب، ١٩٩٨ ،ص ٢٢٦.

[٢]- كيف نحلل التناص في الخطاب؟، ضمن كتاب (بلاغة الخطاب الديني) تحرير د. مشبال. منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٥، ص ٢٦١-٢٨٨.

[٣]- صالح بلعيد، المحتوى الرقمي باللغة العربية النشر الإلكتروني، مجموعة من الباحثين، مداخلات أشغال ندوةالنشر الإلكتروني ،٢٠١٤م،ص١٤٥.

[٤]- خير الدين السعدي،واقع و آفاق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في تركيا جامعات إسطنبول نموذجا،معوقات تعليم العربية في الجامعات العالمية، مجموعة مؤلفين ،مركز الملك عبد الله بت عبد العزيز لخدمة اللغة العربية ،٢٠١٦،ص ١٦٨.